المحاضرة السابعة

موسى أو عيسى أو اي نبي آخر ويجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فانه يكون متناقضاً في نفسه وفي الواقع ولا يكون ايمانه وجحوده الا حصيلة الجهل والتعصب والتقليد بلا دليل أو برهان ، لأن ما دعاه إلى الايمان بنبوة نبي أو رسول يوجد مثله واكبر منه يدعوه إلى الايمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ان مثله مثل من يعتقد أن فلاناً عالم بالطب لانه طالب في السنة الأولى في كلية الطب ولكن يرفض الاعتقاد بأن استاذ هذا الطالب الذي ظل يمتهن الطب عشرات السنين تدريساً لهذا الطالب وغيره ، وتطبيقاً لعلم الطب ، يرفض أن يعتقد فيه معرفة الطب ، ومن البديهي ان رفضه هذا مع اعتقاده ذاك تناقض محض لا يصدر إلا عن جهل وتعصب وتقليد .

ومع هذا القول العام فان من المفيد ان نقدم بعض الادلة لاثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم . فمن هذه الأدلة سيرته صلى الله عليه وسلم منذ نشأته حتى وفاته فهذه السيرة الطيبة العطرة لا يمكن ان يكون صاحبها كذاباً يدعي على الله ما ليس فيه . وهذا الدليل يكفي لاصحاب العقول السليمة والفطر القويمة وبه استدلت السيدة خديجة عندما أخبرها الرسول صلى الله عليه وسلم بما رآه من جبريل في اول بدء الوحي فقالت له فيما قالته : ابشر ، فان الله لا يخزيك ابداً ، فانك تحمل الكل وتعين الضعيف الى آخر ما قالته في صفاته العالية وسيرته الطيبة .

ومن أدلة نبوته هذه الشريعة العظيمة في جميع جوانبها التي يستحيل صدورها عن رجل أمي عاش في ذلك المجتمع العربي المعروف فلو لم تكن وحياً الهياً لما امكن لاحد أن يأتي بها مهما كان نضوجه العقلي واتساع أفق تفكيره. وهذا الدليل يدركه ويقدره العلماء بالقانون والاجتماع والعلوم الأخرى .

واعظم دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو لا يزال قائماً موجوداً بين أيدينا هو القرآن العظيم واعجازه الثابت فلا بد من الكلام عن هذا الدليل على حدة .

دليل الاعجاز

٣٦ – من الواضح الجلي المعروف لدى المطلعين على التاريخ الاسلامي ، او اهل مكة وقريش بالذات قاومت الدعوة الاسلامية الاولى ولم تعترف أول الامر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وانكرت انه رسول الله او ان القرآن كتاب الله ، فكان من جملة ما حصل بين رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وبين قريش وسائر المخالفين له والمعاندين والمنكرين أن تحداهم بالقرآن بأن قال لهم كما اوحى الله إليه « **قل لئن**

اجتمعت الإنس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً »(٤٨) فسكت المخالفون عن هذا التحدي وعجزوا عن كسره او الاجابة عليه ، ثم تحداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن قال لهم ما اوحى الله اليه **« ام يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين »(٤٩)** فسكتوا وعجزوا . ثم تحداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن قال لهم ما أوحى الله به إليه **« وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين »(٥٠) . « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون اللهإن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين »(٥١)** . وكانت نتيجة هذا التحدي المتكرر من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قريش وسائر المخالفين ، اقول كانت نتيجة ذلك أن عجز المخالفون عن كسر هذا التحدي أو عن محاولة كسره بل صمتوا صمت الجدار وراحوا يسلكون سبلا اخرى تقوم على الكذب والافتراء واستعمال الصد عن سبيل الله بالقوة والارهاب والايصاء لمن معهم بأن لا يسمعوا للقرآن لئلا يتأثروا به . قال تعالى مخبراً عن اسلوبهم هذا **« وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون »(٥٢)** .

تحدي القرآن للمخالفين

٣٧ ــ ان التحدي إذا ما نجح بعجز من وجه اليهم عن الاجابة عليه ، فانه يدل دلالة واضحة على صدق المتحدي وصدق ما يدعيه لنفسه كما يدل على بطلان دعوى من وجه اليهم هذا التحدي . ولكن هذه الدلالة لا تتم إلا إذا كان التحدي مستجمعاً الشروط اللازمة له التي تؤدي إلى هذه الدلالة او هذه النتيجة . فهل توفرت شروط تحدي القرآن لقريش الذي جاء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وقبل الاجابة على هذا السؤال نتساءل ما هي شروط التحدي ؟ ان هذه الشروط هي :

---

(٤٨) الاسراء /٨٨

(٤٩) هود /١٣

(٥٠) يونس /٣٧ ، ٣٨

(٥١) البقرة /٢٣ ، ٢٤

(٥٢) فصلت /٢٦